المحاضرة العاشرة

الحياة الدينية في مملكة بوغندة

1-. الإسلام:

إستنادًا إلى كُلّ المصادر التي تناولت موضوع الإسلام في مملكة بوغندة فإنَّ هذا الأخير دخل في فترة حكم والد الملك 'موتسا'؛ أي الكاباكا 'سونا' (Suna)، وذلك قبل عدّة عقود من وصول الأوربيين، ورغم وجود اتصالات تجارية بين مملكة بوغندة، والساحل الشرقي لإفريقيا قبل الملك 'سونا' (Suna) إلا أنّه لم يكن لتلك العلاقة التجارية تأثيرًا واضحًا فيما يخص انتشار الإسلام.

وتوجد ثلاث مسالك تسرَّب عبرها الإسلام إلى منطقة بحيرة فيكتوريا قادمًا من جهتين، الجهة الشرقية عبر المحيط الهندي، والجهة الشمالية عبر السودان، وهي كالآتي:

(أ) الطريق الجنوبي، يبدأ من جزيرة زنجبار، والمدن الساحلية المواجهة لها إلى 'تابورا' (Tabora) في أواسط تنزانيا، ومن هناك يتّجه الطريق شمالًا إلى مملكة بوغندة أقوى الممالك في شرق، وأواسط إفريقية، وهي تمثل الأقليم الأكبر، والهام في جمهورية أوغندة الحالية، فهي المركز الرئيسي الذي تَجَاَوب، وتفاعل مع انتشار الإسلام خاصّة في بلاط الكاباكا (الملك).

(ب) الطريق الشرقي: يبدأ من 'ممباسا'، والمنطقة المحيطة بها، ويتّجه إلى الجزء الشرقي لبحيرة فيكتوريا، وإقليم 'بوسوغا' (Busoga)، والأقاليم الشرقية من أوغندا الحالية.

(ج) الطريق الشمالي: وذلك عبر النيل الأبيض، وجاء في رُكَّابه الأثر الإسلامي القادم من السودان، ومصر.

وبالحديث عن تأثير التجارة في إدخال الإسلام إلى المناطق الداخلية للقارة الإفريقية، وبالضبط إلى منطقة البحيرات الكبرى ذكرت المصادر العُمَّانية أنَّ الفضل في ذلك يعود إلى مجموعة من التّجار العمانيّين نذكر منهم، **سعيد بن محمّد العيسري، وحبيب بن سالم العفيفي، وناصر بن سيف المعمري، وعيسى بن عبد الله الخروصي، وعبيد الله بن سالم الخضوري** الذين يعتبرون في مقدمة المستكشفين لدواخل إفريقيا قبل وصول الأوربيّين، وقد لَعِب هؤلاء دورًا كبيرًا في تجارة العاج، والأقمشة، والخِرز، وأدوات الزينة.

وأشار المغيري صاحب كتاب 'جهينة الأخبار' إلى هذا النشاط عندما ذكر: **"وممّا لا ريب فيه أنّ العرب العمانيّين من رعايا السيد سعيد هم الذين شيّدوا المراكز في داخلية البر الإفريقي للتجارة، وسيطروا على طُرِقِها، وصاروا رعايا في هيئة سلاطين تحت سيادة سلطان زنجبار، وبنوا المستعمرات العربية، وجعلوها مركزًا لنشر الديانة الإسلامية "**.

وكما تمّت الإشارة سابقًا أنّ بداية وصول الإسلام إلى دواخل إفريقيا كان بواسطة قوافل التجار العمانيّين القادمين من زنجبار، والمدن الساحلية الأخرى، وذلك قبل منتصف القرن التاسع عشر، وعبر التسرّب السّلمي بدعوة قامت على الإقناع الذي يقوم به دعاة متفرقون، وقد توغّل العمانيون تجارًا، ودعاةً إلى وسط إفريقيا، ووصلوا إلى مملكة بوغندة بفضل دعم حكومة آل 'بو سعيد' في زنجبار، وفَتْح طرقٍ آمنة للقوافل إلى دواخل إفريقيا، فقد لاحظ المستكشف بيرتون' عام 1850م أنّ التجار العرب كانوا يتردّدون على مملكة بوغندة منذ عشر سنين، كما كتب 'ستانلي' بعد ذلك أنَّ عددًا من التُجار العرب ظلّوا مقيمين في المنطقة لمدّة وصلت إلى عشرين سنة دون أن يرجعوا إلى الساحل.

وعلى الرغم من ذلك، ومن خلال المصادر المتاحة كذلك يصعُب تحديد وصول التجار العرب بالذّات إلى المملكة، ومع ذلك فإنّ معظم المصادر تُشير إلى أنَّ التجارة بين مملكة بوغندة، والمناطق الجنوبية، والساحلية يعود تاريخها إلى نهاية القرن الثامن عشر، حيث حفَّزَ السواحليون تجارهم للولوج إلى عُمْق البُحيرات الكبرى، وبدوره الكاباكا (الملك) 'سونا' (Suna) هو الآخر دَفَعَ بِتُجارِه للتعامل مع هؤلاء التجار السواحليين،

والعرب، وذلك ابتداء من عام 1840م، وخاصّة التُجار الذين يأتون عن طريق 'تابورة' في الجهة الجنوبية لبحيرة فيكتوريا القادمين من زنجبار .

وتتّفق جلّ المصادر المحلّية، والأجنبية بأنَّ هؤلاء التجار العمانيّين، ورحلاتهم، وما يتمُّ فيها من تبادل للمنافع، والسلع كان يصحَبُه دائمًا تبادلا في الآراء، والأفكار ممّا أفسحَ المجال لانتشار الإسلام في أواسط إفريقيا، ولعلَّ أهم الدعاة العمانيّين الأوائل الذين كان لهم إسهامًا بارزًا في مجال نشر الإسلام في مملكة بوغندة الشيخ **'أحمد ابن إبراهيم العامري'[1]** الذي كان يُباشر دعوته مع تجارته؛ إذ يُعتبر نموذجًا رائعًا للداعية المسلم بفضل أخلاقه السامية، وشخصيته المؤثرة القوية، فقد وصل أول مرّة إلى بلاط الملك (الكاباكا) 'سونا' (Suna) عام 1844م قادمًا من زنجبار عن طريق 'أوجيجي'، و'تابورة'، ثمَّ بحيرة 'تنجانيقا' إلى أنْ وصل إلى مملكة بوغندة حيث تقابل مع ملكها.

2- المسيحية

نشاط المستكشفين في المملكة ودعوتهم للبعثات التبشيرية:

إنَّ ما حصل من أحداث، وتطورات سياسية، وعسكرية في منطقة وادي النيل وشمال أوغندة مع بداية السبعينيات من القرن التاسع عشر، واكتشاف موتسا الأول للنوايا الحقيقية للوكلاء العسكريين البريطانيين الذين يعملون لصالح الحكومة المصرية في بلاد السودان سواء 'غوردون باشا' أو 'صمويل بيكر'[2]، أو أمين بك' جعل موتسا يكون أكثر حذرا مع هؤلاء الأوربيين.

ومن جهة أخرى كان مجموعة المستكشفين الأوربيين وعلى رأسهم 'جون سبيك' وزميله المستكشف 'غرانت' قد أثبتوا في عام 1862 أن منبع النيل الحقيقي هو من بحيرة فيكتوريا في منطقة 'جينجا' Jinja، ومصبه هو بالبحر المتوسط بمصر، وعندما رفعا تقريرهما إلى الحكومة والهيئات الجغرافية البريطانية لم يقتنعوا بذلك وبقيت تراودهم شكوك في ذلك مما استدعى بالجمعية الجغرافية الملكية عام 1875 على إرسال المستكشف 'هنري مورتون ستانلي' للمنطقة وإثبات ما جاء به سبيك وغرانت، وبعد وصوله إلى المنطقة أثبت صحة ما جاء به هؤلاء.

وفي إطار زيارته لحل بعض المسائل الجغرافية وبرعاية صحيفتين 'نيويورك هيرالد' (New York Herald) و'لندن ديلي تلغراف' (Daily Telegraph) واصل سيره حتى دخل مملكة بوغندة حيث استقبله ملكها الكاباكا موتسا في قصره ورحب به ترحيبا كبيرا[3]، وقد أعجب ستانلي كثيرا لما رآه في بوغندة من مظاهر حضارية، وفي هذه الأثناء كان ستانلي على علم بما حصل بين موتسا والمسلمين القادمين من السودان فتحول بسرعة إلى مبشر حيث استغل إقامته في القصر الملكي لإقناع موتسا بضرورة مواجهة التهديد المصري وتقويض موقف الإسلام في مملكة بوغندة فراح يشرح كتاب الإنجيل والدين المسيحي للملك رغم أنه ليس مبشرا.

ومن جهته سأل موتسا المستكشف ستانلي هل بإمكان المعلمين الأوربيين المجيء إلى بوغندة قصد تعليم الناس معارف ومهارات جديدة لأن موتسا كان يطمح بأن يتعلم شعبه بعض المعارف والمهارات الجديدة حتى يتمكن من الدفاع عن بلاده خاصة من قبل المصريين أو أي أجانب يرغبون في غزو بلاده.

نشاط الجمعيات التبشيرية في بوغندة

إن رسالة المستكشف ستانلي الشهيرة في صحيفة الديلي تلغراف رسمت صورة رومانسية وكبيرة للكاباكا موتسا في أوربا، وذلك باعتباره كاباكا طاغية عظيم متلهف ومتشوق لسماع الإنجيل ونشره في جميع أرجاء مملكته، والواقع أن ذلك كان مختلفا تماما عما نقله ستانلي لموتسا وذلك ما سيكتشفه المبشرون بأنفسهم بعد وصولهم إلى المنطقة.

وفي بداية الأمر لم تلقى رسالة ستانلي أي نجاح في بريطانيا وبالخصوص عند جمعية الكنيسة التبشيرية البروتستانتية[4] C.M.S وذلك لعد قدرة الجمعية على تعبئة أكبر عدد من المبشرين للقيام بالعملية في بوغندة، ورغم ذلك وصل إلى بلاط موتسا الممثلان الأوليان للجمعية في 30 جوان 1877 تمثل في كل من 'شيرغولد سميث' Shergold Smith، و'ويلسون س.ت' [5]C. T. Wilson.

ونظرا لعديد الصعوبات والعراقيل لم يبدأ أي نشاط للتبشير قبل وصول البعثة الثانية رغم سماح موتسا للمبشرين بالتبشير قرب القصر الملكي وزيارة القصر بانتظام واستخدام 'دالينغتون مافاتا' Mafata Dallington كمترجم لتعليمه (موتسا) وبعض الرؤساء والوجوه الأخرى في القصر، وتأخر بداية العمل يعود إلى الشكوك التي كانت تراود الملك 'موتسا' أن بين المجموعة جاسوسا خاصة بعد سماعه عن الكابتن 'غوردون' Gordon حاكم بريطانيا الذي يعمل لصالح الحكومة المصرية في السودان، وقد وضح هذا الأمر في الرسالة التي كتبها 'شيرغولد سميث' Shergold Smith والتي يقول فيها: "...اليوم التالي ذهبنا مرتين إلى القصر ....بدا مرتاب منا واستجوبنا حول 'غوردون'، وكان مطلوب منه إرهابنا، وتخويفنا .... قلنا له أننا جئنا من أجل العمل..."

وعليه فقد وصل 'ألكسندر مكاي' Alexander Mackay في نوفمبر 1878، وبعد ثلاثة أشهر (فيفري 1879) وصل كل من الدكتور 'ر. و. فالكين' R. W. Falkin، والقس 'ج. ليتشفيد' G. Leitchfield والسيد 'بيرسون' Person الذي جاء عن طريق النيل.

ويمكن أن نثير تساؤلا عن موقف الحكومة البريطانية من إرسال البعثات التبشيرية هل كانت الحكومة البريطانية بعيدة كل البعد عن هذه المسألة بسبب أن جمعية الكنيسة التبشيرية جمعية خيرية جمعت تكاليف الرحلة من التبرعات الشخصية؟ أم أن الحكومة قدمت لهذه البعثات بعض المعونات الأدبية والسياسية المالية.

ويجيب 'لوغارد' عن هذا التساؤل ويقول: أيدت حكومة صاحبة الجلالة إرسال البعثة وأعطت وزارة الخارجية البريطانية خطابا للبعثة لتوصيله إلى موتسا، ونص الخطاب على أن المبشرين ليسوا وكلاء للحكومة، وعندما ذهبت البعثة عن طريق النيل كان معها خطاب من وزارة الخارجية أيضا.

وعلاوة على ذلك فقد جذب كل من المبشرين الكاثوليك والبروتستنت في وقت وجيز اهتمام نشيط من قبل الباغندة وخصوصا فئة الشباب منهم في القصر الملكي، حيث صار العديد منهم يترددون على حلقات التعليم الخاصة بالمسيحية من أجل تعلم مبادئ القراءة والكتابة وأطلق عليهم اسم 'باسومي' Basomi ومنهم كذلك المستفسرون والباحثون عن الموعظة، وهذا الاهتمام والتحول إلى الديانة المسيحية لم تكن مستوحاة من الرسالة المسيحية فحسب بل نتيجة الرغبة في القراءة والحماية والرعاية الطبية والتقدم.

[1] هاجر والداه من عمّان إلى زنجبار خلال عهد السيد 'سعيد بن سلطان'، يقدر تاريخ ولاديته بين عامي 1820م، و 1825م، إلتقى به 'ستانلي' عام 1876م في' كاراغوي' (Karagwe)، ووصفه بأنّه رجل ثري يسكن في منزل فخم أنيق يمتلك عددًا كبيرًا من الماشية تقدر بـ 150 رأس من الأبقار، و40 رأس من الأغنام، بالإضافة إلى 450 من أنياب الفيل (العاج)، و100 من العبيد، وأنّه متسامح جدًا مع عبيده، ويعامل نسائه معاملة محترمة، ومن المرجح أنّه توفي في أواخر عام 1885م، حيث قُتل على أيدي نفر من 'وانيانبو' (Wanyanbo)،

[2] كان صمويل من الشخصيات الغنية، ومولعا بالترحال والتجوال قاد عدة أسفار إلى الشرق الأدنى ومصر، ألف كتاب عن رحلاته التي خاضها في البحث عن روافد النيل سماه : the Nile Tributaires of Abyssinia .

[3] لم يكن ستانلي أول من دخل المملكة والالتقاء مع الكاباكا موتسا بل كان قد سبقه بنحو 13 سنة أي عام 1862 كل من سبيك وغرانت من أجل حل سر مصادر النيل، فكانا بذلك أول أوربيان يزوران بوغندة، وكان سبيك أول من تصور فكرة جعل مملكة بوغندة مركزا لنشر المسيحية في المنطقة، لكن لما عاد سبيك إلى وطنه لم يحرك أي طرف للمجيء إلى المملكة.

[4] تأسست بلندن عام 1799، وتعتبر أول الهيئات البروتستانتية الانجليزية التي اهتمت بالتنصير في إفريقيا الشرقية والوسطى، وفي 1818 تم تغيير اسمها إلى*Society for missions to Africa and the East* .

المراجع:

- تاريخ إفريقيا العام المجلد السادس
- تاريخ إفريقيا المجلد السابع
- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم و شوقي الجمل: دراسات في تاريخ غرب أفريقيا الحديث والمعاصر
- فيج دي جي: تاريخ غرب إفريقيا.
- إلهام محمد علي ذهني: **بحوث ودراسات وثائقية في تاريخ إفريقيا الحديث**. ط1، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 2009
- سليماني يوسف: التنظيم السياسي والسوسيو إقتصادي لمملكة بوغندة، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر 2- أبو القاسم سعد الله، 2020م